توهم الميت حيا

«من كلمات اللغة»

—*—

كنت وانا أتتبع كلمات اللغة التي توهّم أهل اللسان الحرفَ الزائد فيها أصليًا والتي بنيتُ عليها ثلاث مقالات[1] — كنت أجد أحياناً كلمات فيها شذوذ في صيغتها . وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضاً . لكنه توهم عجيب الشكل . غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردتها في المقالات الثلاث كان توهماً مبنياً على مستند . وله أساس . أما هذه الكلمات (المكتشفة) فان توهمهم فيها لامستند يستند اليه . ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لهم : لماذا نلتم (تمنطق) بالميم ولم تقولوا (تنطّق) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتققنا منها (تمنطق) .

فهذا توهم له مستند وله أساس . ولصاحبه بعض العذر في مخالفة القياس . وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس . وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم . لكنه (توهم مجرّد) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول (توهم معلّل) له علته وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب (توهم الحرف الزائد أصليًا) لكنني لم أر لهذا الجعل حظاً من النظر . وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما مر في تخريج كلمات المقالات الثلاث .

(١) راجعها في (م ٥ ص ٢٠٥) و (م ١٠ ص ١٢٩) و (م ١١ ص ٥٣٩) من مجلة مجمعنا العلمي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدهم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول ميتة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حياً) .

* * *

رقم (٥١) — (كَنَّة — كنائن) (الكَنَّة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كنائن) مع ان القياس أن تجمع على (كِنان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خَلّة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) وكما نجمع اليوم (لَجنة) على (لجان) .

هذا اذا لوحظ في لفظ (كنّة) أنه اسم غلب عليه الجمود لا صفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكنّ) بمعنى الستر كان القياس ايضاً ان يجمع على (فِعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سَمحة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كنّة) الا على (فعائل) فقالوا (كنائن) ولما ذا ؟

قال (التاج) « كأنهم توهموا فيه كَنينة ونحوها مما يكسَّر على فعائل » اهـ .

وقد حاول الأزهري صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كَنّة) على (كنائن) مقيساً في كل ما كان على وزن (فعْلة) مضاعفاً . فكان في محاولته هذه متكلفاً متعسفاً . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في ان السبب في جمعهم (كنّة) على (كنائن) هو توهمهم ورود (كنينة) على وزن (فعيلة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كنّة) معنى الصفة (كسَمحة) و (جَلْدة) اللتين يقال فيهما ايضاً (سميحة) و (جليدة) ومثلهما كثير في صفات الاناث التي على وزن (فَعْلَة) . أما (كنّة) فانها — وان كانت على وزن (فعلة) — لم يقولوا فيها كنينة على وزن (فعيلة) .

نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعاً في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهماً في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم مذ جمعوا (كنة) على (كنائن) لأن (كنائن) على وزن (فعائل) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعيلة) .

ومحصول القول إن العرب توهموا لفظ (كنينة) الميت حياً فجمعوه على (كنائن) واستغنوا به عن (كنان) القياسي .

(٥٢) — (حَرّة — أحرّين) (الحَرّة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار وتجمع على (حرار) و (حرّات) جمعاً قياسياً كما تجمع على (حرّين)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (حرُّون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعاً غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكر السالم نظير سنين ومئين وأرضين .

فالجموع الثلاثة (حرار . حرّات . حرُّون) إما مقيسة وإما غير مقيسة ولكن لها نظائر . وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لا قياس يعتمد عليه . ولا نظير يستند اليه . هو (أحَرُّون) و (أحرين) يعني بالواو والنون أو الياء والنون على نمط جمع المذكر السالم . وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فمن أين جاءت هذه الهمزة ؟ ؟ ؟

جاءت من قاعدة (التوهم المجرد) وهي التي سميناها قاعدة (توهم الميت حياً) قال صاحب التاج : «من جموع (الحَرَّة) (أحرين)» وهو على توهم أن له مفرداً على (أحرَّة) اه .

يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى (الحرَّة) وتلك الكلمة هي (أحرَّة) بالهمزة في أولها . وبعد ان توهموها توهماً أو يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا فجمعوها على (أحرين) . وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأييداً فقال : « قال سيبويه وزعم يونس انهم يقولون حرة وأحرُّون كأنه جمع (أحرة) ولكن لا يتكلم بها اه » أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحرة إذ هي ميتة كما قلنا .

أما الشاهد على مجيء (أحرين) في اللغة فهو رجز قاله (زيد بن عتاهية) وهو من اصحاب علي رضي الله عنه : فان علياً أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ولما انهزم زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته قائلة (اين الخمسمائة ؟) فأنشد :

(إن أباكِ فرَّ يوم صفّين لما رأى عُكّا والاشعريين)
(وذا الكلاع سيد اليمانين قال لنفس السوء هل تفرّين)
(لا خمس الا جندل الاحرّين والخمس قد يجشمك الأمرّين)
(جزءاً الى الكوفة من قنسرين)

فقوله (لا خمس الا جندل الأحرّين) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرّات . وقد كفى بذلك عن الخيبة .

هذا ماقاله (يونس) ورد عليه (ثعلب) بان (الأحرّين) ليست جمعاً لحرّة (يعني على توهم أحرَّة) بل هو جمع لكلمة (أحرّ) أفعل تفضيل من (الحُرّ) وهو الكريم . فالأحرُّون هي المواضع التي تكون أحرّ وأكرم من غيرها وان جمع (الأحرّ) على (الأحرين)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كجمع (الاكرم) على (الاكرمين) و (الأطيب) على (الأطيبين) . لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أيد (يونس) في ان (الأحرّين) بالهمزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم علل ورود هذا الجمع بما لا يسعنا ذكره هنا . فانت ترى ان جمع (حرة) على (أحرّين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أو هو من قبيل توهم الميت حيًا .

(٥٣) — (مُسرّ — فهو مسرور ومُسَرّ) جاء في أمثال العرب (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأبيلق) وكان اذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسَرُّ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى خدع بذلك وأدخل أبيلقه في سباق الخيل بل لم يدخله الا برهن من اول الأمر . وثوقًا بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء . لكن (الابيلق) المسكين سُبق وخسر صاحبه الرهن فضربوا به المثل وقالوا : (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ) اي مسرور يضربونه لمن يحمد مافي نفسه ولا يدري ماعند غيره من الفضائل . والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسَرّ) بصيغة اسم المفعول من (أسره) لكن لم يرد في اللغة (أسره) وانما ورد (سَرّه) ثلاثيًا فهو مسرور :

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسَرّ) ؟

أجاب صاحبا اللسان والتاج بما نصه : (قال ابن سيده : هكذا حكي هذا المثل أفّار ابن لقيط : إنما جاء على توهم أسرّ اه) .

يعني انهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسر) في لغتهم . ولم يبين لنا ارباب المعاجم سبب هذا التوهم ومعتمده : توهموا الياء في (ميثاق) أصلية فجمعوها على (مياثيق) والياء حية في (ميثاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة اما قولهم في المثل المذكور (مسرّ) لا (مسرور) فأن (أسر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حيًا فاشتقوا منه (مسرّ) .

(٥٤) — (أنبته — فهو منبوت) : كما توهموا وجود (أسره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبته) الثلاثي فاشتقوا منه (منبوت) مع أن (نبته) ميت غير موجود وانما الموجود (أنبته) (والله أنبتكم من الأرض نباتًا) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت . ومن أين جاء منبوت إذن ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اجاب صاحب اللسان في مادة (سرّ) وهو يشرح كلمة (مسر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر ·

(وبلد يغضي على النعوت يغضي كاغضاء الروى المنبوت)

(اراد المنبت فتوهم نبته كما أراد الآخر المسرور فتوهم أسره) اهـ

واعلم ان الكلمتين وردتا في (لسان العرب) مصحفتين هكذا (مثبت وثبته) بالثاء المثلثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا (منبت ونبته) بالنون كما في التاج والصحاح · ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر (وبلد يغضي الخ حتى إن مصححه تبرأ من صحة معناه وقال : (هكذا هو في الأصل) ·

هذه كلمات اربع (كنائن) (أحَرُّون) (مُسَرّ) (منبوت) وردت في فصيح كلام العرب ودوّنت في معاجم اللغة وقد بنوا صحتها على قاعدة التوهم : اي توهم وجود (كنينة) (أحرة) (أسرة) (نبته) مع انها ميتة غير موجودة · وهذا مما يجعل (قاعدة التوهم) واسعة مطردة اكثر مما كنا نظن ويفسح لنا المجال فنحشر أغلاطاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال ·

على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته ونقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) واشباهها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه ·

وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاهم الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافياً في صحته وصحة ماماثله وضُرب على غراره ·

(٢) — ان قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) ونظائرها ليست خطأ بل هي واردة على القياس :

فأحرون إنما هي جمع (أحرة) (ومسر) اسم مفعول من (أسره) ومنبوت من (نبته) · (وأحرة) و (أسره) و (نبته) — مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمات (أحرون ومسر ومنبوت) ثم انهم اخيراً أماتوا الاصول وهي (أحرة) (أسره) و(نبته) فلم يستعملوها وأبقوا على سلالتها — الجمع واسمي المفعول — فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاء علماء اللغة فدونوا المشتقات والسلالات وأهملوا الأصول والامهات . ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و (أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحيوا (محبوب) وأماتوا (حبه) الا قليلا وأحيوا (محب) وأماتوا (حاب) ولهذه الإماتة والإحياء نظائر يعرفها اللغوي :

(٣) — إن كلمة (أحرة) وفعلي (أسره) (ونبته) مما نطق به العرب واستعملوه ولم يميتوه لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسببٍ من الاسباب فلم يدونوه في المعاجم كما أغفلوا الكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى ان ارباب المعاجم لم يدونوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو صُرفوا عنه اكثر مما ظفروا به أو هُدوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا او اكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى . وهذا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و (معتمد) بمعنى عمده الوجع و (يسوّف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كنينة) بمعنى (كنة) و (أحرة) المفرد بمعنى (حرّة) وفعل (أسرّه) وفعل (نبته) بمعنى (سرّه) و (أنبته) فان العرب نطقوا بها ولم يميتوها كما تُوهم . وانما أماتها أرباب المعاجم أنفسهم . على ان أرباب المعاجم — وان اماتوها — رأيناهم من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل الينا ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كنينة) و (أحرّة) و (أسرّه) و (نبته) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدوّن ونتعب في التنقيب عنها شأن علماء الفلك مع نجمات تدلهم الأرصاد . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رقعة أو منطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أو غيرهم على النجيمة أو الكوكب في الحيز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطق بها العرب ولم نظفر بها نحن . لكننا وجدنا ما يثبتها ويدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم وتقبوا فلعلكم في العثور عليها موفقون .

«المغربي»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net